نشأة علوم القرآن وتطوره

عندما نريد ان نرصد علوم القرآن تاريخياً منذ عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا فقد مر بعدة مراحل

المرحلة الاولى: مرحلة العهد النبوي

يمكن للباحث ان يجد ان بدايات علوم القرآن في عصر النبوة متمثلة بالملاحظات و الاحاديث التي تلقاها الصحابة عن رسول الله ﷺ المتصلة بالقرآن الكريم فمن سؤال الصحابة للرسول ﷺ عن كيفية تلقيه القرآن بدأت المباحث المتعلقة بنزول القرآن ، ومن قراءته ﷺ القرآن على الصحابة وحثهم على تلاوته وحفظه نشأة المباحث الخاصة بالقراءات القرآنية ومن امره ﷺ كتاب الوحي بكتابه ما ينزل عليه من القرآن تأكدت سنه كتابة القرآن وجمعه في الصحف ونشأة من ذلك المباحث المتعلقة بكتابة القرآن ورسمه ومن بيانه ﷺ لمعنى عدد من الآيات والكلمات القرآنية حيث اشكل فهمها على بعض الصحابة نشأة المباحث المتعلقة بفهم القرآن وتفسيره .

فتجمعت تلك الملاحظات لدى علماء الصحابة و اختزنتها ذاكرتهم ونقلوها إلى تلامذتهم من التابعين لكنهم لم يدونوها تدويناً منظماً لأن العلوم لم تكن قد دونت في عصرهم وكان القرآن الكريم اول كتاب مدون عرفته الامة ولقد ضلت علوم القرآن تلقى بالتلقين ومشافهة على عهد النبي ﷺ و استمر الحال إلى خلافة عثمان بن عفان حيث بدأ اختلاط العرب بالأعاجم واثر ذلك على قراءة القرآن ، عندما اتجه جيش المسلمين لفتح أرمينية وأذربيجان كان الجنود من أهل العراق والشام، فكان الشقاق والنزاع يقع بينهم، ورأى حذيفة بن اليمان اختلافهم في القراءة وبعض ذلك مشوب باللحن مع إلفِ كل منهم لقراءته، واعتياده عليها واعتقاده أنها الصواب، وما هداها تحريف وضلال حتى كفر بعضهم بعضًا، فأفزع هذا حذيفة وقال: والله لأركبن إلى أمير

المؤمنين، وكان عثمان قد رأى نحو هذا في المدينة، فقد كان المعلم يعلم بقراءة، والمعلم الآخر يعلم بقراءة، فجعل الصبيان يلتقون فينكر بعضهم قراءة الآخر.

فبلغ ذلك عثمان، فقال خطيبًا» :أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافًا وأشد لحنًا، اجتمعوا يا أصحاب محمد، واكتبوا للناس إمامًا«، فلمّا جاء حذيفة إلى عثمان وأخبره بما جرى تحقق عند عثمان ما توقعه، كما ان الحادثة المعروفة التي ورد فيها ان الامام علي عليه السلام أمر ابو الاسود الدؤلي (ت69هـ) بوضع القواعد للمحافظة على سلامة اللغة العربية وبذلك يكون اول من وضع الاساس لعلم اعراب القرآن (النحو) فالذي له الباع الاول في وضع اسس علوم القرآن هو النبي محمد صلى الله عليه وآله والامام علي عليه السلام واهل البيت والصحابة امثال ابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت والتابعين امثال مجاهد وعطاء بن يسار وعكرمة وقتادة والحسن البصري .

المرحلة الثانية: علوم القرآن في عصر التدوين.

القرن الاول والثاني ان تدوين علوم اللغة وعلوم القرآن وغيرها قد بدأ في أواخر القرن الأول الهجري ومطلع القرن الثاني الهجري وأن القرن الثاني الهجري لم ينقضِ الا ومعظم العلوم قد دونت وظهرت فيها المؤلفات ومن أوائل الكتب المؤلفة في علوم القرآن كتاب التفسير لعبدالله بن عباس (ت(68هـ) الذي رواه تلميذه مجاهد بن جبر (ت104هـ) وكتاب رسم المصاحف لعبدالله بن عامر الdحصبي (ت118هـ) وكتاب قراءة ابي عمرو بن العلاء (ت154هـ) ثم تتابع التأليف وكثر في علوم القرآن، ويذكر ابن النديم في الفهرست (ان حركة التأليف في علوم القرآن حتى سنة 377 وهي سنة تأليف الفهرست ان اكثر من 250كتاباً في موضوعات متعددة من علوم القرآن) .

القرن الثالث علي المديني، شيخ البخاري في أسباب النزول وأبو القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ وفي القراءات وفضائل القرآن، ومحمد بن أيوب الضريس (ت294هـ) فيما نزل بمكة وما نزل بالمدينة، ومحمد بن خلف بن المرزبان (ت309هـ) الحاوي في علوم القرآن.

القرن الرابع أبو بكر محمد بن القاسم الانباري (ت328هـ) عجائب علوم القرآن تكلم فيه على فضائل القرآن ونزوله على سبعة أحرف وكتابة المصاحف وعدد السورة والآيات والكلمات، وأبو الحسن الاشعري كتابه المختزن في علوم القرآن، وأبو بكر السجستاني في غريب القرآن، وأبو محمد القصاب محمد بن علي الكرخي (ت360هـ) نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والاحكام المنبئة عن اختلاف الانام، ومحمد بن علي الادفوي (ت388هـ) الاستغناء في علوم القرآن في عشرين مجلد.

المرحلة الثالثة: مرحلة المؤلفات الجامعة

القرن الخامس علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي كتابه البرهان في علوم القرآن واعراب القرآن، وأبو عمر الداني (ت444هـ) التيسير في القراءات السبع والمحكم في النقط.

القرن السادس كتاب فنون الافنان في عجائب علوم القرآن ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت597هـ) المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن، وأبو القاسم عبد الرحمن المعروف بالسهيلي في مبهمات القرآن.

القرن السابع جمال القراء وكمال القراء تأليف علم الدين السخاوي أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد (ت643هـ) المرشد الوجير إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامه المقدسي أبو القاسم عبدالرحمن بن إسماعيل (ت665هـ)، وابن عبدالسلام في مجاز القرآن، وعلم الدين السخاوي في القراءات، ثم نشأت علوم

جديدة في بدائع القرآن حجج القرآن أقسام القرآن أمثال القرآن وكانت طريقتهم استقصاء جزئيات القرآن لذلك وجب اختصار تلك العلوم في علم جديد موحد يموه علوم القرآن وهذا كله جاء في الفهرست.

في حين يرى بعض الباحثين ان اصطلاح علوم القرآن بالمعنى الجامع الشامل لم يبدأ ظهوره إلا بكتاب البرهان في علوم القرآن لعلي بن إبراهيم بن سعيد المشهور بالحوفي (ت430هـ) ويقع في 30 مجلد حفظ منها 15 مجلد غير مرتبة ولا متعاقبة في نسخة محفوظة في دار الكتب بالقاهرة برقم 59 تفسير وكان اسبقها في نظر باحثين آخرين كتاب ابن المرزبان في القرآن الثالث.

القرن الثامن ألف بدر الدين الزركشي (ت794هـ) كتابه البرهان في علوم القرآن.

القرن التاسع كثر التأليف فصنف جلال البلقيني كتابه مواقع العلوم من مواقع النجوم، وصنف محمد بن سليمان الكافيجي (ت879هـ) كتاباً ذكره السيوطي ولكننا لا نعرف اسم هذا الكتاب.

القرن العاشر ثم ألف السيوطي (ت911هـ) متابه التحبير في علوم التفسير واتبعه بالإتقان في علوم القرآن.

المرحلة الرابعة: علوم القرآن في العصر الحديث

القرن الأخير عاد العلماء إلى التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث وتنوعت اتجاهات التفسير عندهم.

الاتجاه الأول: منهم من اتبع منهج المؤلفات الجامعة مثل الشيخ طاهر الجزائري (ت1920هـ) في كتابه التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن الذي اختصر فيه بعض مباحث الاتقان للسيوطي ومحمد عبد العظيم الزرقاني (ت1948هـ) في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن والشيخ محمد جمال الدين القاسمي كتابه محاسن التأويل ومحمد علي سلامة منهج الفرقان في علوم القرآن، ومحمد رشيد رضا تفسير القرآن الحكيم وفيه مباحث كثيرة في علوم القرآن ونحا هذا المنحى صبحي الصالح في كتابه مباحث في علوم القرآن.

الاتجاه الثاني: ومنهم من ألف في علم واحد من علوم القرآن أو قضية واحدة من قضايا تاريخ القرآن مثل الشيخ طنطاوي جوهري الجواهر في تفسير القرآن الكريم ومصطفى صادق الرافعي إعجاز القرآن وسيد قطب التصوير الفني في القرآن وفي ضلال القرآن وكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي وكتاب النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز وكتاب النسخ في القرآن مصطفى زيد وكتاب الاعجاز البياني للقرآن لعائشة عبد الرحمن وكتاب التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن للأستاذ حنفي احمد وغيرها الكثير.

المستشرقين ودورهم في التأليف في علوم القرآن

كان للمستشرقين دور في الدراسات الحديثة عن القرآن الكريم وعلومه لكن اكثر تلك الدراسات كانت تنطلق من نظرة الإساءة والطعن والتشويه والتعصب[1] واشهر ما كتبوه كتاب (تاريخ القرآن) للمستشرق الألماني تيودور نولدكه، الذي صدرت طبعته الأولى 1860م والذي قال عنه المستشرف آثر جفري ((هو أساس كل بحث في علوم القرآن في اوربا))[2] وكتاب مذاهب التفسير الإسلامي للمستشرق المجري الأصل جولد تسهير(ت1920م) وكتاب (القرآن ، نزوله، تدوينه، ترجمته، تأثيره) للمستشرق الفرنسي بلاشير وكتاب (التوراة والانجيل والقرآن والعلم) للكاتب الفرنسي موريس بوكاي الذي أراد في هذا الكتاب (اختبار الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة) والذي ختمه بقوله (وبالنظر إلى حال المعارف في عصر محمد، لا نستطيع ان نفهم الكثير من الاخبار القرآنية التي لها سمة علمية التي يمكن ان تكون عمل إنسان، ولذلك فإن المشروع ليس بإن يعتبر القرآن تعبيراً لوحي فقط، بل بإن يعطي مركزاً ممتازاً لما يتمتع به من الأصالة الفريدة ولوجود أخبار علمية لديه ظهرت كتحد للتفسير الإنساني).

---

[1] مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، 56

[2] ابن ابي داود ، المصاحف ، مقدمة تحقيقه4